المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد التاسع والأربعون شهر (٧) ٢٠٢٢

المواطنة وأثرها في تحقيق السلم الداخلي والخارجي

د. صالح بن سعود سليمان السعود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في جامعة حائل
المملكة العربية السعودية
s-s-s1388@hotmail.com
0503170708

الملخص

هدف البحث: بيان ماهية المواطنة، وأثرها في تحقيق السلم، وقد قسمته إلى التمهيد، ويشمل: تأصيل لمفهوم المواطنة، وتعريف المواطنة وبعض ما يتعلق بها من مصطلحات، وخمسة مباحث، المبحث الأول: المواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية، والمبحث الثاني: مفهوم المواطنة لدى المسلمين وغيرهم، والمبحث الثالث: أهمية المواطنة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع والأمة، والمبحث الرابع: شبهات حول مفهوم المواطنة والرد عليها، والمبحث الخامس: أثر المواطنة في تحقيق السلم الداخلي والخارجي، وخاتمة وفهارس.

أهم النتائج:

1- أن المواطنة الصالحة علاقة تربط بين المسلم وسائر عناصر الأمة.

2- أن مفهوم المواطنة ينبع من وحدة الأصل الإنساني، والمصالح المشتركة لأبناء الوطن الواحد.

3- أن وطنية الإسلام لا تتعارض مع الانتماء إلى أمة الإسلام، لأنها جزء منها.

4- أن الشبهات التي يلقيها البعض إنما هي من العرف الذي لا يخالف الشرع، بل في غالب الأحيان أنه موافق للشرع.

أهم التوصيات:

- لا بد أن يكون هناك محاضن شرعية وتربوية وفكرية تقوم على إيضاح الصورة الحقيقية للمواطنة للناس، لكي يلتزموا بها ويعملوا بمقتضاها.

- لا بد من العناية بالمسلك النبوي في بيانه للمواطنة الحقة، مع الإكثار من عقد ندوات وملتقيات علمية، ليستفيد منها العلماء، والمربون، ومدرسو كليات القرآن ومعاهده ومدارسه.

الكلمات المفتاحية: مفهوم، الوطنية، الحقة ، أثر ، فرد، مجتمع، أمة

Citizenship and Its Impact On Achieving Internal and External Peace

Abstract

The aim of the research: to clarify the nature of citizenship, and its impact on achieving peace, which was divided into the preamble, and includes: Rooting the concept of citizenship, defining citizenship and some related terms, and five sections, the first topic: citizenship in the balance of Islamic law, and the second topic: the concept of citizenship among Muslims and others, and the third topic: the importance of good citizenship and its impact on the individual, society and nation, the fourth topic: suspicions about the concept of citizenship and its response, and the fifth topic: the impact of citizenship in achieving internal and external peace, and a conclusion and indexes.

The most important results:

1 That good citizenship is a relationship between a Muslim and the rest of the nation.

2 The concept of citizenship stems from the unity of human origin, and the common interests of the people of the same nation.

3- The patriotism of Islam does not conflict with belonging to the Nation of Islam, because it is part of it.

4 The suspicions that some cast are from a custom that does not contradict the law, but in most cases it is in accordance with the law.

Most important recommendations:

- There must be legal, educational and intellectual incubators based on clarifying the true image of citizenship for people, so that they can abide by it and work accordingly.

It is necessary to pay attention to the Prophet's path in his statement of true citizenship, with a lot of holding scientific symposia and forums, for the benefit of scholars, educators, and teachers of Quran colleges, institutes and schools.

Keywords: *concept, patriotism, truth, effect, individual, society, nation.*

المقدمة

الحمدلله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فمحبة الأوطان، والانتماء للأمة أمر فطري غريزي، وطبيعة جبل الله النفوس عليها. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:30). فحين يولد الإنسان في بلد، وينشأ ويترعرع بين أحضانه ، فإن فطرته ترتبط به، فيحبه ويواليه، ويجتهد في رفع شأنه، ويذب عنه.

فإن كان الوطن متمسكاً بشرعة الله ورسوله ، قائماً بحدوده، فهذا هو أغلى الأوطان، وأحبها إلى نفوس عباد الله المؤمنين، وهذا هو الذي تُبذل له النفوس والأموال، أما إذا كان غير ذلك فيكون حقه على قدر ما يشعر فيه بالعدل والأمان، ولن يكون له حب وولاء. والنبي صلى الله عليه وسلم حينما أخرجه قومه من بلده التي نشأ بها، وترعرع بين جنباتها حزن أشد الحزن فقال وهو يغادرها : "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ" (أخرجه الترمذي (3629) واللفظ له، وابن حبان (3709)، قال الألباني: صحيح.

والوطن يحتاج إلى وجود مواطن صالح يعرف قيمة وطنه، ويعمل على علو منزلته ورفع شأنه بين سائر الأوطان، فليست الوطنية دعوى تردد باللسان دون أن تلامس سويداء القلب.

ومن خلال الصفحات القادمة سنتعرض لمفهوم المواطنة وما يرتبط به من مصطلحات أخرى، والحث على إيجاد المواطنة الصالحة التي تعمل لصالح وطنها، ولسائر أوطان المسلمين. وأثر ذلك في تحقيق السلم الداخلي والخارجي. اسأل الله عز وجل أن يمن علينا جميعاً بالعلم النافع والعمل الصالح الذي يرضيه عنا.

مشكلة الدراسة

- وقوع خلل كبير في فهم حقيقة الوطن وقيمته وحرمته.
- تشدد بعض المنتسبين للدين في ربط عقيدة الولاء والبراء بقضية الوطن.
- تحديد المنهج الوسطي في مفهوم الوطن والوطنية.

تساؤلات الدراسة

- ما هو مفهوم الوطنية الحقة؟
- ما هو مفهوم الوطن ؟
- ما هي الحدود الحقيقية في التعبير عن هذا المصطلح؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى الوصول إلى المفهوم الصحيح والدقيق للوطنية.

أهمية الدراسة

- استشعار القيمة الحقيقية للوطن.
- أهمية الوطن والوطنية.
- الولاء والبراء وعلاقته بالوطنية.

منهج البحث

اقتضت طبيعة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، فقد سلكت ما يلي:

- الآيات مكتوبة بالرسم العثماني مع وضعها بين قوسينِ ﴿ ﴾ ، ثم يليها اسم السورة ورقم الآية ( )
- خرجت الأحاديث تخريجاً مختصرا، فإن كان في الصحيحين، أو في أحدهما اقتصرت عليه وأكتفي بذكر رقم

الحديث ، وإن كان في غيرهما خرجته وبينت الحكم عليه ، وأكتفي بذكر رقم الحديث فقط ، مع التنصيص للحديث بـ " "

- وضعت الأقوال بين قوسين ( )
- وثقت النصوص، والأقوال
- لم ألتزم ترجمة الأعلام؛ إما لشهرتهم، أو طلباً للاختصار
- ضبطت ما يُشْكِل بالشكل
- ختمت البحث بخاتمة ، وذيلته بفهارس

خطة البحث

- **التمهيد:** التأصيل لمفهوم المواطنة، ويشمل على: تعريف المواطنة وبعض ما يتعلق بها من مصطلحات
- **المبحث الأول:** المواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية، والفرق بينها وبين الأخوة، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: المواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية
  - المطلب الثاني: الفرق بين المواطنة والأخوة
- **المبحث الثاني**: مفهوم المواطنة لدى المسلمين وغيرهم، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول مفهوم المواطنة لدى المسلمين
  - المطلب الثاني: مفهوم المواطنة لدى غير المسلمين
- **المبحث الثالث** أهمية المواطنة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع والأمة، ويشتمل على خمسة مطالب:
  - المطلب الأول: أهمية المواطنة الصالحة وضرورتها في بناء الأمة
  - المطلب الثاني: التمسك بأخلاق الإسلام دليل على المواطنة الصالحة
  - المطلب الثالث: أثر المواطنة الصالحة على الفرد
  - المطلب الرابع: أثر المواطنة الصالحة على المجتمع
  - المطلب الخامس: أثر المواطنة الصالحة على الأمة
- **المبحث الرابع:** شبهات حول مفهوم المواطنة والرد عليها
- **المبحث الخامس:** أثر المواطنة في تحقيق السلم الداخلي والخارجي
- **الخاتمة**
- **الفهارس**

التمهيد

التأصيل الشرعي لمفهوم المواطنة وما يتعلق به من مصطلحات أخرى، ويشتمل على:

ـ تعريف المواطنة: المواطنة في الزمن الماضي لم يكن لها أثر بين الناس، ولم يثار حولها جدل أو نقاش، ومع اختلاط المسلمون بغيرهم من أهل الثقافات الأخرى إلا أن حياة الجميع مستقرة، قائمة على الاعتراف بالذات، سواء كان ذلك في ديار الإسلام أو في غيرها، لوضوح التعامل بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، والتزامهم الدقيق بشريعة الإسلام نظراً وتطبيقاً، فكان الناس يعيشون تحت مظلة واحدة، وبلد واحد، ولكن في عصرنا الحالي أصبحت المواطنة من أكبر المشكلات سواء كان ذلك في ديار المسلمين أو في غيرها، بسبب المفاهيم المختلفة التي وردت من غيرنا، أو مما أضيفت من أهل الإسلام.

ومن المسلّم به أن الإسلام هو أول الشرائع التي حثت على الوحدة بين الناس كافة، فلم تفرق بين أحد إطلاقاً إلا في التقوى، شريعة جاءت بالعدل والحق والمساواة في الحقوق بين البشر كافة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:13).

إن لفظة المواطنة ليس لها وجود في اللغة العربية أو الأدبيات الإسلامية، ولكن لها مفهوم عام، وهناك فرق بين المفهوم والاصطلاح، فالمفهوم يحاكي الفكرة، والاصطلاح يحاكي اللفظ الذي يعبر عن هذه الفكرة.

فعند تناول مسمى المواطنة نتناولها من حيث المفهوم، وننزل هذا المفهوم ونسقطه على النصوص الشرعية في الإسلام، أو غيره.

ـالوطن :يرى ابن منظور(1414هـ) أنه المنزل الذي يقيم فيه الإنسان ومحل إقامته، ومقر عائلته وأهله. وورد في القرآن باسم الدار، وجمعه الديار، ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: 8).

وفي الإسلام مفهوم الوطن يشمل: الأسرة الصغيرة والإقامة الضيقة في حدود جغرافية ما، ويشمل مفهوم الوطن الكبير وهو الأمة الإسلامية في كل موقع ومكان على وجه الأرض.

ـالوطنية : شعورُ الفرد بالحب والانتماء لوطنه ومجتمعه واعتزازه به، والاستعداد للتضحية في سبيل الدفاع عنه، وعلى هذا فإنّ الوطنيّة :فطرة في النفس البشرية، وذود عن الوطن وإقرار عزته وكرامته، ووحدة ومحبة جماعية تعاونية بين أبناء الوطن الواحد، وليست هي طوائف وأحزاب متناحرة متنافرة.

ـالمواطنة: سلوك وعلاقة اجتماعية آمنة بين أبناء الوطن الواحد، وبين الراعي والرعية، وبين الفرد والدولة وفقًا لقانون ينظّم تلك العلاقة... ويُكتب لهذه العلاقة الاستمرار والدوام ما تحقق العدل، والمساواة، والحرية، والأمن، والوحدة الوطنية، والتنشئة الوطنية، والقيام بحق الوطن والمواطن على السواء. يقول ابن الرومي العباسي:

ولي وطن آليتُ ألّا أبيعه *** وألّا أرى غيري له الدهرَ مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم *** مآرب قضّاها الرجال هنالكا

وأما التعريف الإسلامي للمواطنة: فهو ينطلق من خلال القواعد والأسس التي تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة، وهما الوطن والمواطن، وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي: تعبير عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهم الأفراد المسلمون والحاكم والإمام، أي أن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم (الهويدي: 13).

أجل: إن المواطنة انتماء وموالاة لعقيدة، وقيم ومبادئ انتماء تغمره أحاسيس العزة ويكلله الفخر، وموالاة تعكسها سمات التضحية وتترجمها معاني الإيثار.

هناك مصطلحات أخرى حول المواطنة:

هناك بعض المصطلحات الأخرى قد تعبر عن المواطنة، أو تكون قريبة من مفهومها، أو هي جزء من محتواها:

-الانتماء: شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه ورفع شأنه والدفاع عنه.

والانتماء: من المفاهيم العالمية، والمهمة في عالمنا المعاصر. وقد عُرف هذا المفهوم لغة: بأن معناه الانتساب، فانتماء الولد إلى أبيه انتسابه إليه واعتزازه به، والانتماء مأخوذ من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع فالشجر ينمو وكذلك الإنسان.

كما عرف البعض الانتماء اصطلاحاً: بأنه الانتساب الحقيقي للدين الإسلامي والوطن فكراً ومشاعر ووجداناً، واعتزاز الفرد بالانتماء إلى دينه من خلال الالتزام بتعاليمه، والثبات على منهجه، وتفاعله مع احتياجات وطنه، ويظهر ذلك من خلال بروز محبة الفرد لوطنه والاعتزاز بالانضمام إليه والتضحية من أجله.

-الأُمَّة: لغة: السُّنَّةُ في الدِّين، من قوله عز وجل: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف:22)، وكل قوم نسبوا إلى نبي فهم: أمته. وكل جيل من الناس: أمة على حدة.

واصطلاحاً: هي الجماعة البشرية المتماسكة وفق نظاميها الاجتماعي والثقافي. وللأمة روح واحدة تتجلى في وحدة عناصر مثل: اللغة، والعرق، والدين، والعادات، والتقاليد(د. إبراهيم الناصر، 1424هـ:227).

وهذا التعريف ينطبق على الأمة العربية التي محور اتحادها اللغة في حين أن الأمة الإسلامية محور اتحادها هو الدين الإسلامي العظيم بفحواه الظاهر والباطن.

والأمة معناها قريب من الوطنية إلا أنها تختلف باختلاف الدولة أو الدول التي يعيش فيها الناس، فكل أمة تختص بشيء ربما يكون مغايراً لغيرها من الأمم كاللغة، أو اللون، أو الأرض، أو الدين، أو غير ذلك؛ فهي ترتبط ببعضها البعض حسب ما ذكرناه سابقاً. ويمكن أن يقصد بها: الشَّعْب، والجنسية، وغير ذلك من المصطلحات.

المبحث الأول: المواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية، والفرق بينها وبين الأخوة

المطلب الأول: المواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية

إن من المغالطات التي يبثها أعداء الإسلام الإيهام بوجود تعارض بين الوطنية بمفهومها الطبيعي وبين الإسلام كشريعة متكاملة، وما هذا إلا حيلة للنيل من الإسلام والقدح فيه، وهو استغلال للمحبة الغريزية للوطن، لإيهام الناس بأن التمسك بتفاصيل الشريعة يعطل بعضاً من مصالح الوطن، وذلك باتخاذ بعض أحكام الشريعة التي تصادم مطالب الوطنية حجة لهم في النيل من عظمة الإسلام وقوته واستحقاقه.

إن العقيدة الإسلامية هي أساس وطنية المسلمين، ولذلك فحدود الوطن التي تلزم التضحية في سبيل حريته وخيره لا تقتصر على حدود قطعة الأرض التي يولد عليها المرء، بل إن الوطن يشمل الوطنية الخاصة والعامة؛ لأن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص فيها.

إن المسلم الحق يكون ولاؤه أولاً وآخراً لله تعالى ولدينه ولنبيه صلى الله عليه وسلم، ويتمثل ذلك بعبوديته لربه، وإخلاصه له في كل عمل يقوم به. ثم ينتقل بعد ذلك ولاؤه إلى إخوانه من المسلمين.

إن المواطنة من مفهومها السابق والمستمد من الشريعة الإسلامية الغراء لا يتعارض مع الانتماء إلى الأمة الإسلامية، ولكنها تتعارض مع الوطنية التي تكون سبباً في تنازع الأمة وتقسيمها إلى طوائف متناحرة وأحزاب مختلفة، والتي تركن إلى شرائع وضعية شكلتها الغايات المادية، وفسرتها الأفهام القاصرة وفق المصالح والأهواء.

والمواطنة في الإسلام تستوعب الجميع ، دون إهدار لحقوق الأقليات غير المسلمة، أو المسلمة، من غير إثارة للنعرات القومية بشتى صورها. وتضمن للجميع حقوقهم، فهي تحترم الواقع وليست مجرد شعارات.

وقد ظهر ذلك جلياً حينما أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعد المواطنة بين المسلمين واليهود وغيرهم ممن لم يدخل في الإسلام، والتي أطلق عليها (صحيفة المدينة) ، التي أبرمها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة. وقد تضمنت تلك الصحيفة قضايا المواطنة وحقوق المواطنين ووجباتهم، مع الاتفاق على إنشاء تحالف عسكري بين جميع طوائف المدينة ضد الأعداء، ومنع أي تعاون مع المشركين ضد المسلمين.

المطلب الثاني: الفرق بين المواطنة والأخوة

المواطنة هي الحب الفطري الغريزي للوطن، نتيجة الألفة والمعيشة فيه، يشترك فيه الإنسان والحيوان والطائر على حد سواء مع اختلاف الأسباب، وهذا النوع من حب الوطن يعتبر مواطنة فطرية سرعان ما تذوب وتتغير مع تغير الأحوال والملابسات لأنها قائمة على حدود معينة.

أما الأخوة فهي رباط معنوي ومادي، يربط بين الإنسان بأخيه، أو بإخوانه، وخاصة إذا كان هذا الرباط هو رباط الإيمان والعقيدة، فلا يُؤثر نفسه على أحد من إخوانه، أو يقدم مصلحته على مصلحتهم، بل يكون كاليد الواحدة، والجسد الواحد. والأخوة من أعظم الروابط وأقواها وقد حث عليها دين الإسلام في كثير من توجيهاته. وقد ذكر القرآن الكريم في آيات عديدة فضل الأخوة، وأن المسلمين كلهم إخوة تحت رباط العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:10)، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:103)، وقال صلى الله عليه وسلم : "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [1] .

وأروع مثال على تلك الأخوة العظيمة مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وكيف تلاحمت هذه الأمة فأصبحت لحمة واحدة مع اختلاف القبيلة والوطن والحال، ولكن جمعهم الإيمان والعقيدة، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمعتهم الهجرة إلى الله ورسوله، ونصرة دين الله عز وجل، فلما كان الهدف والغاية وجه الله عز وجل اجتمعوا على ذلك فكانت هذه الأُخوة العميقة العظيمة الأثر والتي ما زال. فالفرق بين الوطنية والأخوة فرق كبير، فالوطنية مرتبطة بحدود، وسياج، وجنسية، ولغة. أما الأخوة فهي أعظم من ذلك، لأنها ترتبط بالعقيدة فقط، فجميع المسلمين إخوة في الله، لأنهم أبناء عقيدة واحدة، لا يخرج عنهم إلا من سلك طريقاً غير طريقهم.

المبحث الثاني:مفهوم المواطنة لدى المسلمين وغيرهم

المطلب الأول: مفهوم المواطنة لدى المسلمين

البلاد التي تسودها شريعة الإسلام، وتطبق أحكامه هي وطن مسلم واحد حتى لو اختلفت اللغات والجنسيات، والإسلام وضع منهجاً واضحاً للدفاع عن الوجود الوطني بالبدء بأهل الدار أو بالوطن الصغير، ثم الانتقال إلى الجوار، ثم الأقرب فالأقرب حتى يعم جميع بلدان وأقطار العالم الإسلامي كله.

إن الأمة الإسلامية القائمة على بنية المجتمع المتعدد المذاهب والأعراق والغايات في أي قطر إسلامي تؤمن بعقيدة واحدة، وتظللها شريعة واحدة، وتربطها أخوة واحدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:10). المواطنة في الإسلام أوسع من الحدود الجغرافية ، والذي يوضح ما سبق تلك الصحيفة التي أبرمها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، والتي جعلت من المجتمع المدني أمة واحدة على الرغم

(1) - أخرجه البخاري (6011)، ومسلم (2586) واللفظ له0

من التنوع العقدي والثقافي، لأن المدينة كانت تحتوي على جنسيات ولغات وثقافات مختلفة، فمنهم المسلمون، واليهود، والوثنيون، والمهاجرون من مكة، وكذا الأنصار. فكل هؤلاء جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم تحت بنود تلك الصحيفة والتي تحقق عن طريقها مبدأ المواطنة العامة لجميع من يسكن في المدينة.

وقد احتوت تلك الصحيفة على بنود كثيرة، نذكر بعضاً منها كي يتبين لنا قوة تلك الصحيفة وأنها أرست مبدأ التعاضد والتعاون والعدل والحق والمساواة وهذه الوطنية الحقة. فكانت تلك الصحيفة كما جاء فيها:

(أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم،...)، إلى آخر تلك البنود المذكورة في تلك الصحيفة، التي تضمنت حقوق المواطنين وواجباتهم.

وارتبط مفهوم المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي نظرياً بالاعتقاد، وعملياً بعدة عوامل منها تكوين السلطة والجيش. وقد بقي المفهوم التاريخي للمواطنة بهذا المعنى تفاوتيًا سواء بين الأحرار والعبيد، المؤمنين وغير المؤمنين. وبهذا المعنى كان هذا المفهوم في واقع الأمر حصيلة اجتهادات دنيوية في ثوب ديني، وقد ارتبط في الذاكرة التاريخية بجملة حقوق وامتيازات.

وخلال عقود من الزمن كانت الجزائر مثلًا فرنسية، من دون أن يكون للجزائري صفة المواطن. وتمت الفرنسة بشكل طائفي وعنصري من جانب دولة علمانية (جرى إعطاء الجنسية لكل اليهود الجزائريين في 1889 في حين كان يطلب من الجزائري أن يعلن انسلاخه عن الإسلام ليحصل على الجنسية). لم تستطع التجربة السوفياتية أنسنة حقوق المواطنين ودمقرطتها [1] .

ويقول المفكر الإسلامي الدكتور/ عبد المنعم أبو الفتوح في هذا الإطار: تبقى قيم العدالة والمساواة والكرامة والتي هي حق إنساني أصيل يتصل بكون الإنسان إنسانًا ولا يتوقف على ديانته وعرقه –وهذا هو ما نفهمه من الإسلام العظيم-، وفي غياب هذه الحقوق الأساسية فإن أي حديث حول المواطنة لا معنى له ولا قيمة.

العدالة والمساواة والكرامة ليست شعارات في الفراغ فحسب [2].

ومن هنا نعرف كيف تناول الإسلام قضية المواطنة والوطنية من عدة جوانب:

أولاً: اعتبر الإسلام الخروج من الوطن قهرًا وغصبًا نصرة للدين من أعلى مراتب الإيثار؛ كما فعل المهاجرون. وأن من فعل ذلك يستحق نصرة الله له ومعيته؛ كما قال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ اللَّـهُ إِذ أَخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَروا ثانِيَ اثنَينِ إِذ هُما فِي الغارِ إِذ يَقولُ لِصاحِبِهِ لا تَحزَن إِنَّ اللَّـهَ مَعَنا فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنودٍ لَم تَرَوها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلى وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِيَ العُليا وَاللَّـهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾ (التوبة: 40).

ثانياً: اعتبر الإسلام حب الوطن والحفاظ عليه قرين حب النفس والخوف عليها من الهلاك: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (النساء: 66).

ثالثاً: اعتبر الإسلام أن من حُب الوطن الدعاء له وطلب الأمان له وسعة الرزق فيه لأبنائه وكل من قصده؛ كما في طلب نبي الله إبراهيم ودعائه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: 126). يقول الإمام الطاهر بن عاشور: (وَلَقَدْ كَانَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ النُّبُوءَةِ فَإِنَّ أَمْنَ الْبِلَادِ وَالسُّبُلِ يَسْتَتْبِعُ جَمِيعَ خِصَالِ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ

(1) - ورقة قُدمت في إطار اللقاء الحواري الأول في مركز حرمون للدراسات المعاصرة – حول قضايا "الدين والدولة والسياسة" – إسطنبول في يومي 8 و9 تشرين الأول/ أكتوبر 2016.

(2) - ورقة قُدمت في إطار اللقاء الحواري الأول في مركز حرمون للدراسات المعاصرة – حول قضايا "الدين والدولة والسياسة" – إسطنبول في يومي 8 و9 تشرين الأول/ أكتوبر 2016.

وَيَقْتَضِي الْعَدْلَ وَالْعِزَّةَ وَالرَّخَاءَ إِذْ لَا أَمْنَ بِدُونِهَا، وَهُوَ يَسْتَتْبِعُ التَّعْمِيرَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى مَا يَنْفَعُ وَالثَّرْوَةَ فَلَا يَخْتَلُّ الْأَمْنُ إِلَّا إِذَا اخْتَلَتِ الثَّلَاثَةُ الْأُوَلُ وَإِذَا اخْتَلَّ اخْتَلَّتِ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَيْسِيرَ الْإِقَامَةِ فِيهِ عَلَى سُكَّانِهِ لِتَوْطِيدِ وَسَائِلِ مَا أَرَادَهُ لِذَلِكَ الْبَلَدِ مِنْ كَوْنِهِ مَنْبَعَ الْإِسْلَامِ)(ابن عاشور،1984م:715).

رابعاً: إظهار الحب والشوق إلى الوطن : ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ المَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ- أسرع السير-، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا" [(1)]، قال ابن حجر: (وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه)(ابن حجر،1379: 621) .

خامساً: اعتبر الإسلام إعلان المحبة والحنين للوطن دين وعبادة : ففي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى ...، قَالَ: اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ" [(2)] .

سادساً: حب ما في الوطن من معالم وآثار لها في النفس شيء عظيم؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، مَوْلَى المُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا"[(3)] .

سابعاً: الحث على ملازمة الوطن وبُغض مغادرته إلا لعلة مشروعة قوية ضرورية :ورد في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ" [(4)] .

ثامناً: يرى الإسلام أن الوطنية فيه إحسان لكل رعايا الوطن مسلمًا أو غير مسلم، ومن صور ذلك ما يلي:

ضرورة التراحم مع كل إنسان: " لا يرحم الله من لا يرحم الناس" [(5)]. وجواز الهدية بين المسلم وغير المسلم، كما أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية بعد فتح مكة، وأهداه حاكم آيلة بغلة بيضاء وكساه بُردًا. وجواز التعامل المادي مشاركة ومداينة ومراهنة، كفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر، ودرعه صلى الله عليه وسلم كانت مرهونة عند يهودي بـ 30 صاعًا من شعير. وجواز العمل مع غير المسلم أو لديه أو العكس، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم مشركًا يوم الهجرة للدلالة على الطريق، وكان للنبي غلام يهودي يخدمه حتى أسلم. وجواز التطبب على أيدي غير المسلمين والعكس. وكان الحارث بن كلدة – وهو مشرك- يطبب الصحابة.

المطلب الثاني: مفهوم المواطنة لدى غير المسلمين

المواطنة عند غير المسلمين ترتبط بالجنس، أو باللغة، أو بالأرض، أو المصلحة، فهي تختلف اختلافاً كلياً عن المواطنة في الإسلام حتى ولو احتوت على جزئيات منها، لأنها تبنى على مصلحة خاصة ترتبط بأبناء الوطن الواحد دون غيرهم.

(1) - رواه البخاري برقم(1802)0
(2) - رواه البخاري برقم (5677)، ومسلم (1376)0
(3) - رواه البخاري برقم(2889)0
(4) - رواه الترمذي برقم (3925)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال الألباني: صحيح0
(5) - رواه البخاري برقم(7376)0

فالمواطنة علاقة والتزام له صبغة في جميع النواحي كالاجتماعية والنفسية...، وهي صفة ينالها الفرد، ليتمتع بالمشاركة في مناح الحياة، أو التعبير الاجتماعي لعملية انتماء متبادلة بين الأشخاص والدولة، أو التعبير الاجتماعي لعملية انتماء الإنسان، عملية انتماء تتجسد في قضية المواطنة، وينتمي إلى موطن.

وهذه المواطنة تختلف في محتواها عن المواطنة في الإسلام، لأن الأولى تبنى على احترام سيادة القانون، والعمل بمقتضاه، أما في الإسلام فهي حقوق وواجبات تقوم على أوامر الشرع الحنيف، لا يراد منها إلا إقامة الحق والعدل بين الناس على اختلاف الألوان والأجناس.

وتخبرنا التجارب الغربية أن المواطنة قد تم تفعيلها وفق ثلاثة أطر، وهي بالترتيب القانونية والسياسية والاجتماعية ، ويمكن استيضاح ذلك الترتيب عن طريق مطابقته مع تجربة السود في أمريكا، حيث أنهم حصلوا أولًا على المساواة أمام القانون بعد التعديل الثالث عشر للدستور، ثم بعد ذلك أصبح لهم الحق في المشاركة السياسية، بعدها خاضوا نضالات كبيرة امتدت إلى نحو القرن من أجل نيل الحقوق الاجتماعية. وهي التي عززها تنظير توماس مارشال، الذي قدم نموذجًا للمواطنة يضم ثلاثة أطر؛ المدنية، السياسية، الاجتماعية.

وفي فرنسا في 14 تموز/ يوليو 1789، اندلعت الثورة الفرنسية، نتيجة الاستبداد السياسي، والتفاوت الطبقي، والفساد الإداري والقضائي، واتخذت الثورة شعارًا لها: "الحرية، الإخاء، والمساواة"، ونتج عنها إلغاء الملكية المطلقة، وإقامة النظام الجمهوري، وفصل السلطات، وفصل الدين عن الدولة، وفي 26 آب/ أغسطس 1789 أصدرت الجمعية التأسيسية وثيقة حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، والتي تضم الحقوق الفردية للمواطن والجماعية للأمة الفرنسية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية في 1865، وبدعم من الرئيس إبراهام لينكولن بغرض إنهاء الحرب الأهلية الأمريكية، صوت الكونغرس على التعديل الثالث عشر والذي يقضي على العبودية في الولايات المتحدة، ويساوي بين الأمريكيين البيض والسود أمام القانون، أي المساواة القانونية.

شكل ذلك التطور في حقوق الإنسان ضميرًا إنسانيًّا ضد الجرائم والانتهاكات الإنسانية التي نتجت عن الحربين العالميتين، وظهرت الحاجة إلى إيجاد مرجعية عالمية لحقوق الإنسان، فكانت النتيجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، الذي نص في مادّته الثانيّة "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، من دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أيّ تفرقة بين الرجال والنساء.

المبحث الثالث: أهمية المواطنة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع والأمة

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية المواطنة الصالحة وضرورتها في بناء الأمة

إن المواطنة المتعارف عليها لدى كثير من الناس على مستوى دول العالم لها صورٌ متعددة، وأشكالٌ مختلفة، وذلك لما يكون في قلب المواطن من صدق الانتماء وعدمه، وقوة بذله وعطائه لهذا الوطن، وليتسنى لنا معرفة هذه الصور للمواطنة فقد تم تقسيمها إلى الآتي:

أولاً: المواطنة الإيجابية: وهي التي يكون فيها المواطن شاعراً بقوة انتمائه لوطنه، وقيامه بدور إيجابي في خدمته.

ثانياً: المواطنة السلبية: وهي التي يشعر فيها المواطن بانتمائه لوطنه، ولكنه يكون سلبياً في تعامله مع حقوق وطنه.

ثالثاً: المواطنة الزائفة: وهي التي يكون فيها المواطن منتمياً إلى هذا الوطن، ولكنه يحمل في جوفه شعارات جوفاء جرداء عن العمل الإيجابي، فهو يخالف واقعة الحقيقي بعد الإحساس بإعزاز وطنه.

رابعاً: المواطنة المطلقة: وهي التي يجمع المواطن فيها بين دوره الإيجابي والسلبي تجاه مجتمعه ووطنه وفق الظروف والملابسات التي يعيشها بين أبناء وطنه.

إن الغالب من التربية المعاصرة التي تقوم بها ديانات أخرى غير الإسلام لا تنشأ أبداً المواطنة الإنسانية الصالحة، إنما هي تربية تسعى إلى إيجاد المواطن الصالح لا المواطن الإنسان الصالح. ويظهر ذلك من خلال مواطنة الإنسان في موطنه الأصلي، فتجد الإنجليزي في الغالب يتعاون مع بني جلدته لتحقيق المواطنة الصالحة، لكنه لا يحققها مع غيره إذا تعارضت مصالحهم مع مصالحه. وهكذا غالب جنسيات الدول من حولنا.

ولو نظرنا إلى المستعمرين الذين استولوا على بلاد غير بلادهم كانوا لا يختلطون بمستعمريهم، إنما كانوا يرون أنفسهم أعلى مقاماً وأجل شأنا منهم.

أما التربية الإسلامية في ديننا الحنيف فهي التي تنشأ الإنسان الصالح والمواطن الصالح، وهذا المواطن هو الذي يراقب الله تعالى في جميع علاقاته سواء مع إخوانه المسلمين أو غيرهم من غير المسلمين. فيكون الجانب السلوكي الظاهر للمواطنة الصالحة والمتمثل في الممارسات الحيَّة التي تعكس حقوق الفرد وواجباته تجاه مجتمعه ووطنه، والتزامه بمبادىء المجتمع وقيمه وأنظمته، والمشاركة الفعالة في الأنشطة والأعمال التي تهدف إلى رقي الوطن والمحافظة على مكتسباته وخيراته . وقد رأينا وسمعنا عن الذين قدموا خدمات جليلة وعظيمة لأوطانهم، وخاصة في التخصصات الدقيقة القليلة على مستوى العالم كله، فكم وصل من أبناء أمة الإسلام إلى العالمية بجدارة واستحقاق لما بذل وأعطى، حتى صارت دولته مضرب المثل، وذكراً حسناً لسائر دول العالم . فقد تخرَّج من أمة الإسلام علماء الشريعة، والطب، ...، وغير ذلك من التخصصات . وفي هذا دليل عظيم على أن المواطنة الصالحة المصلحة من أعظم السبل في نفع الوطن والأمة.

المطلب الثاني: التمسك بأخلاق الإسلام دليل على المواطنة الصالحة

إن من ينظر إلى التوجيهات العظيمة للإسلام وتلك الصفات والسجايا العجيبة التي يوجه بها إلى التعامل الصادق، والعدل بين الناس على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم، يدل على أن المسلم إذا تمسك بتلك الأخلاق وقام بتطبيقها في حياته مع من حوله، كان عاملاً إيجابياً في المجتمع من خلال ما يقدمه لنفسه ولمجتمعه وأمته.

وها هي بعض من النصوص الشرعية الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتي نرى من خلالها تلك الأخلاق العالية، والسجايا الكريمة التي لم توجد في نظام من الأنظمة القديمة أو الحديثة. ففي كتاب الله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:13)، فالناس عند الله سواسية ، وهذا يدل على سماحة الإسلام، وقيامه على الحق والعدل، وأن أكرم الناس عند الله مهما اختلفت ألوانهم في الدنيا والآخرة هو أتقاهم له. وأيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ ﴾ (النحل:90). قال قتادة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)، ليس من خلق حسن, كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به, وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم, إلا نهى الله عنه وقدم فيه(ابن كثير، 1414هـ: 709) . وقال الشيخ/ عبد الكريم الخطيب: هذه الآية الكريمة، تجمع أصول الشريعة الإسلامية كلها. فهي أقرب شيء إلى أن تكون عنوانا للرسالة الإسلامية، ولكتابها الكريم، إذ لا تخرج أحكام الشريعة وآدابها عن هذا المحتوى الذي ضمت عليه تلك الآية.

وما في كتاب الله كله هو شرح لما أمر الله سبحانه به من العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وما نهى عنه من الفحشاء والمنكر والبغي(الخطيب:284).

وفي آيات أخرى في كتاب الله يوجه جل وعلا إلى التمسك بالعدل، وأن يطبق بين الناس كافة، فلا يقدم أحد على أحد، ولا يستأثر أحد بحكم دون أحد، بل الجميع سواسية. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد:25)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء:58).

ولو نظرنا إلى العدل الإلهي حتى مع أعداء الملة من غير المسلمين، فهو يأمر سبحانه بإقامة مجتمع إنساني واحد، يعيش الجميع تحت ظله ولا يكون فيه إكراه لأحد، بل هناك حرية لغير المسلم في إقامة دينه في حدود التوجيهات في الدولة المسلمة التي يعيش فيها، ففي ظل هذا الوطن الذي يجمع المسلم وغير المسلم فإن غير المسلم له حق التملك، وله أن يستجير فيجار، وله أن يتحاكم إلى القضاء المسلم لتحصيل حقوقه، وله حق التعامل مع من حوله من أبناء هذا الوطن الواحد، ولا يحق لأحد بخسه حقوقه، أو الاعتداء عليه، أو ظلمه، إلى غير ذلك مما أمرت به شريعة الإسلام. وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:8)، دليل على الأمر بالبر والعدل عند التعامل مع من يخالفون المسلمين في معتقدهم، وهذه الآية وغيرها فيها رد على من يتطاول على الإسلام بعدم العدل والرحمة والبر، ويصفه بالعنف والتشدد والقتل والتدمير. وهناك الكثير من النصوص الشرعية في السنة التي توجه إلى التعاون والتعاضد، وحسن التعامل مع إحقاق الحق لأصحابه حتى ولو كانوا من غير المسلمين. فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" [1] ، وروى أحمد عن أبي نضرة رضي الله عنه : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ

(1) - رواه البخاري برقم(2995)0

عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إلا بِالتَّقْوَى" [1]. روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أتشفع في حد من حدود الله". فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: "أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها [2] .

وهذا الحديث وغيره فيه بيان لقمة العدل عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه مهما كان الشخص ومكانته في المجتمع فإن العدل هو الذي يقوم على الفصل بين الناس، وليست أهواء الناس وشفاعاتهم الباطلة التي تخالف أوامر الله وحدوده. إن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يوفر العدالة المطلقة لجميع المواطنين بصرف النظر عن عقائدهم وأجناسهم وألوانهم ومواطنهم.

المطلب الثالث: أثر المواطنة الصالحة على الفرد

إن مفهوم المواطنة لدى المسلم لها طريقة أخرى غير طريقة المواطنة لدى الآخرين في الدول الأخرى، فالمواطن في الوطن الإسلامي يقيم هذه الوطنية طاعة لربه، واتباعاً لأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو يقتدي بنبيه صلى الله عليه وسلم في كل خلق كريم وعمل صالح قويم.

فيحافظ على طاعة الله بأداء حقوقه وأوامره، ويتعامل مع الناس بالرفق واللين والصدق في التعامل، وتكون أخلاقه دليلاً على ذلك في كل حركة وسكنة، ويبتعد عن كل ما يشوب أخلاقه بين إخوانه وغيرهم، بل سبيله وطريقه هو قول الله تعالى: ﴿قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّـهِ رَبِّ العالَمينَ * لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ﴾ (الأنعام:162- 163).

لذا فإن المواطنة في الإسلام تجمع معاني الانتماء الوطني، فهي تحث على البناء المجتمعي الرشيد، والعمل على تقدمه، ويكون فيها التعامل الإيجابي، مع العطاء المتميز، واحترام نظام الوطن وقوانينه، واحترام حريات الآخرين، ونصرة أبناء وطنه والدفاع عن وطنه لمن أراد الإساءة إليه أو الاعتداء عليه، بل والقتال من أجل صد أي عدوان يقع عليه من أي جهة خارجية تريد إيقاع الظلم عليه.

(1) - رواه أحمد برقم(23489)، والبيهقي في(شعب الإيمان)(5137)، قال الألباني: صحيح0
(2) - رواه البخاري بر قم(3475)0

لقد حصل هذا الترابط والتلاحم في صورة عظيمة مشرقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته من مكة إلى المدينة، حيث

استقبل الأنصار إخوانهم من المهاجرين، ففتحوا لهم بيوتهم، وعرضوا عليهم أموالهم، والزواج من نسائهم، إلى غير ذلك من صور التلاحم والتراحم والإيثار.

ولما اجتمع المهاجرون والأنصار، وكان معهم في المدينة اليهود والمشركون من الأوس والخزرج الذين لم يسلموا ربط النبي صلى الله عليه وسلم بينهم برباط الصحيفة التي حوت صوراً عديدة من العدل، والمساواة، والرحمة، والتعاضد، فاجتمع جميع أفراد هذا الوطن ـ المدينة ـ تحت رباط واحد، وهو رباط المواطنة. وإن من المقومات التي تثبت صدق تلك المواطنة الصالحة ما يلي:

أولاً: الانتماء: وهو الانتساب الحقيقي للدين والوطن بجميع صوره، وجعل مصلحة هذا الوطن فوق كل مصلحة. ويتجسد هذا الانتماء من خلال التضحية في سبيل هذا الوطن وذلك دفاعاً عن العقيدة وقياماً بالواجبات التي يلزم بها، مع أداء الحقوق التي عليه.

ثانياً: الولاء: وفاء الإنسان لوطنه، ولمن يقوم عليه، مع الاهتمام بخير الوطن ومصلحته وتقدمه، والعمل على دعمه في مواجهة التحديات والظروف. وهذا الولاء يكون مستمداً من التحاكم إلى شرع الله تعالى، وطاعة أولياء الأمور بالمعروف، ومحبة هذا الوطن الغالي الذي يعيش على أرضه.

ثالثاً: المساواة: وهي التماثل بين الأفراد في المجتمع أمام النظام بصرف النظر عن المولد أو الطبقة الاجتماعية، أو الثروة، أو الجنس، أو الفكر، أو المهنة. فالجميع سواسية أمام الشرع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ما دام أن الجميع يعيش تحت مظلة الوطن المسلم. وقد ظهر هذا جلياً في موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع المرأة المخزومية على جلالة قدرها ورفعة شأنها بين قومها، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض الشفاعة في أحكام الله الشرعية التي قدرها على السارق، ونفذ الحكم فيها.

رابعاً: الحرية: إن الإسلام يحترم حريات الناس دون الإضرار بالوطن المسلم، فهو يكفل لغير المسلمين حرية الاعتقاد، وحرية أداء شعائرهم الدينية، وكذلك لهم حرية الرأي، ولكن دون تعدٍ أو إساءة لدين الله تعالى. والحرية لها تعريفات عديدة، ومن ذلك: أنها (إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطريقة التي يرونها طالما كانوا لا يحاولون حرمان غيرهم من مصالحهم، أو لا يعرقلون جهودهم لتحقيق تلك المصالح) (الناصر،1424هـ:235) .

خامساً: الحقوق: والإسلام هو الوحيد على مستوى عالم الذي يعرف حقوق كل إنسان، ويضع الأنظمة والقوانين التي تكفل للجميع الاستفادة بحقوقهم دون بخس أو ظلم، إلا أن هذا الأمر ضعف كثيراً بعد القرون الثلاثة المفضلة، والحقوق تعتبر سلطة يخولها النظام لشخص ما لتمكينه من القيام بأعمال معينة، تحقيقاً لمصلحة يعترف بها ذلك النظام.

سادساً: الواجبات: وهي التي أوجبها الإسلام على المسلم وغير المسلم، وهي واجبات تختلف باختلاف دوره في أداء المواطنة الصالحة في المجتمع. والواجبات لها أنواع متعددة فمنها العامة ومنها الخاصة، وكلها ترتبط بعضها ببعض، ومن ذلك: الواجبات العقدية، والخلقية، والوطنية، والاجتماعية، وغيرها. وتعتبر تلك الواجبات أفعالاً مطلوبة من الفرد الذي تناط به وظيفة أو دور ثابت يجب أن يؤديه في الجماعة(الناصر، 1424هـ:242).

المطلب الرابع: أثر المواطنة الصالحة على المجتمع

غير خاف أن الفرد جزء من المجتمع، وأن حسن انتماء المواطن لوطنه، وخاصة عندما يكون هذا الوطن قائماً على شريعة الله تعالى يضفي على نفسه الاطمئنان والاستقرار، وفقده يعكس ذلك سلباً على حياته.

والفرد إذا كان إيجابياً في سائر أمور حياته عاد ذلك على مجتمعه ووطنه، والإسلام جاء ليربط الفرد بمجتمعه ووطنه وأمته جمعاء، فلا سبيل لأي فرد أن يعيش معزولاً عمن حوله، لأن الإنسان بطبعه يحب الخلطة، ويحرص عليها، ويحتاج إل مخالطة الناس والتعرف عليهم، والتعاون معهم في أمور حياتهم.

فالعامل يحتاج إلى المعلم، والطبيب، والنجار، والسباك، وغير ذلك من سائر المهن، وهكذا كل واحد من هؤلاء يحتاج لغيره، فلا يستطيع أحداً الانفكاك عن هذا المجتمع لكونه قطعة متلاحمة من الناس. وصدق أبو العلاء المعري عندما قال:

الناس للناس من بدو وحاضرة *** بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام توجيه راشد في حق من ترك مخالطة الناس ومن حرص على مخالطتهم حيث قال: "الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"[1] . وفي رواية لأحمد : " الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"[2]، وفي هذا دليل قوي على أن من خالط الناس، وصبر على أذاهم، وعاشرهم بالحسنى أن أجره أكمل وأعلى. والنظر في ذلك على قدر مسؤولية كل مواطن، وجهده في خدمة إخوانه، فالمواطن الإيجابي له دور فعال في خدمة مجتمعه ووطنه وأمته، والمواطن السلبي دوره ضعيف في ذلك، وعلى قدر العطاء يكون الأثر العائد على الوطن.

لقد حرص الإسلام على ترابط الفرد بالمجتمع أخلاقياً وسلوكيا واجتماعياً واقتصاديا وسياسياً، فلا ينفك هذا الفرد عمن حوله، فهو بهم ومنهم. فمن الناحية الأخلاقية يكون للمواطن الدور الإيجابي عندما يكون حسن الخلق، والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة ، وهي بحسب التربية التي ترباها الإنسان، فإذا ما رُبي على إيثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة في الخير وروُّض نفسه على حب الجميل وكراهية القبيح وأصبح

(1) - رواه الترمذي برقم(2507)، قال الألباني: صحيح0
(2) - أخرجه ابن ماجه (4032)، وأحمد (5022) باختلاف يسير، والطبراني في (المعجم الأوسط) (5953)، والبيهقي (20669) واللفظ لهما. قال الألباني: صحيح0

ذلك طبعاً له فتصدر عنه تلك الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف، وقيل فيه خلق حسن، والعكس صحيح. ومن هنا فقد وجه الإسلام إلى التمسك بالخلق الحسن، وترك ما سواه، ودعى إلى تربية النفس على الصفات الجميلة الحسنة التي يحبها الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:133-134)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:34). وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا" [1] .

ألا وإن من أهم عناصر حسن الخلق، الإخلاص، وإذا أخلص المسلم في ذلك كان ممن وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّـهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر: 11). والإخلاص من أغلى الصفات وأهمها لدى المسلم، فمن أخلص لله عمله، وأراد به وجهه كان من أحسن الناس تعاملاً وأخلاقاً وحرصاً على الخير لجميع المسلمين.

وأيضاً أن يكون متصفاً بالأمانة، والأمانة من أجل الصفات التي حض عليها الإسلام، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحض على الاتصاف بالأمانة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَخونُوا اللَّـهَ وَالرَّسولَ وَتَخونوا أَماناتِكُم وَأَنتُم تَعلَمونَ﴾ (الأنفال:27)، وقوله تعالى في صفات عباد الله المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون:8). وقال صلى الله عليه وسلم: " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ" [2] .

ومن معاني تلك الأمانة أن يقوم المواطن بأداء واجبه على الوجه الذي يكلف به، وأن يبذل قصارى جهده في تحقيق كل ما يعود على العمل بالخير والنفع. وألا يستغل وظيفته في تحصيل النفع من الآخرين بغير وجه حق، وأن يحفظ أسرار العمل، وأن يحفظ ما يصل إليه من المال العام، وهذا ينطبق على كل من وُكل إليه عمل خاص أو عام، فإذا حفظ الأمانة ولم يضيعها عاد ذلك على نفسه ومجتمعه بكل خير.

ولابد أيضاً أن يتصف المواطن بالوفاء، وقد أوجبت شريعة الإسلام الوفاء بالعهود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة:1)، وفي هذا حض للمسلم على اتصافه بالوفاء في جميع حالاته، فيكون وفياً لدينه، وفياً لولاة أمره وعلماء بلده، ووفياً لأهله وأقربائه، ووفياً لمجتمعه وأمته. وأيضاً أن يكون متصفاً بالصدق، فمن كان صادقاً في شؤونه كلها كان من ثمرة صدقه أن يقدم الرخيص والغالي من أجل رفعة شأن وطنه وإعلاء رايته ، والصادق دائماً يؤثر في تعامله مع من حوله، وخاصة إذا كانوا من غير المسلمين، والصدق كان من أعظم الصفات التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يسمى قبل بعثته بالصادق الأمين. وقد أوصى الله تعالى عباده بأن يكونوا صادقين في جميع شؤونهم، فقال عز وجل: ﴿يا

(1) - رواه الترمذي برقم(2018)، قال الألباني: صحيح0
(2) - أخرجه أحمد(12567) 0 قال المنذري في الرغيب والترهيب: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما0

أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَكونوا مَعَ الصّادِقينَ ﴾ (التوبة:119)، وكما قال أيضاً صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا" [1] .

وأيضاً أن يكون متصفاً بالصبر، والصبر عنصر من عناصر المواطنة الصالحة في الإسلام، لأنه اقترن بالقيم الروحية العالية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة:24)، والصبر دليل على الإيمان الصادق، والرجولة الناضجة، فإن الابتلاءات في هذه الدنيا تحتاج لصبر كبير، والذي يدل على صدق المسلم هو صبره على طاعة الله، وصبره عن معصيته، وصبره على الابتلاءات والمحن. فمن كان متصفاً بالصبر كان مواطناً صالحاً قادراً على خدمة نفسه ومجتمعه ووطنه وأمته.

المطلب الخامس: أثر المواطنة الصالحة على الأمة

إن أمة الإسلام مبناها على التمسك بحبل الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وجاءت الشريعة الغراء آمرة باتحاد الأمة وتماسكها وتعاضدها سواء كان ذلك اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو فكرياً،...، وهذا هو أساس الأمة، أن يكون الأفراد مترابطين، متواصلين، مجتمعين على الخير، حريصين على العطاء .

إن المواطنة الصالحة ليست مواطنة مؤقتة يقوم بها بعض أفراد الأمة، إنما هي مواطنة دائمة، مرتبطة بالقيم والأخلاق والآداب، فهي إصلاح ونماء، وتحمل مسؤولية. والمواطنة الحقيقية هي المواطنة المؤثرة، فالوطنية ليست لفظاً يقال، إنما هي أفعال تقام، فالذي يكون عامل بناء وتنمية، وعامل وحدة وقوة، وعامل تنوع وإثراء في حياة الأمة هي المواطنة الصالحة الصادقة والتي ينتفع بها كل من حوله.

إن كل فرد من أفراد الأمة مسؤول مسؤولية كاملة عن نهضة الأمة كلها، فولي الأمر له دور عظيم في حفظ الوطن من التشتت والضياع، والعمل على تقوية مكتسباته، وتقوية دعائمه، وربطه بمن حوله في حدود ما يعود عليه بالخير، وأن يتعامل مع الناس تعامل الوالد مع أولاده، فيوجه، ويربي، ويعلم، ويخطط، ويحنو على الضعيف ويقويه، ويشدد على المفرط ويناصحه. ويكون قدوة في نفسه ولغيره، فيكون في كل حين ووقت الموجه الأول لمواطنيه، فيبحث عما يعود عليهم بالخير، ويضع الأنظمة والقوانين التي تحفظ الأمن والسلامة لأفراد وطنه. ويجعل بين يديه مستشارين مخلصين، حريصين على مصلحة الدولة والأمة، يضع كل موظف في مكانه الطبيعي والذي يستطيع عن طريقه خدمة وطنه. وأن يكون سمته العدل، والرحمة، والشفقة برعيته كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان أرفق الناس بأمته، ومن كان هذا هديه وسمته نال دعوة خير الخلق صلى الله عليه وسلم عندما قال في حق الإمام العادل : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ" [2]، وقال أيضاً فيمن يرفق بأمته من بعده: " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق

(1) - أخرجه البخاري برقم(5743)، ومسلم برقم(2607)0
(2) - أخرجه البخاري برقم (6806)، ومسلم برقم (1031)0

عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به" [1]، وقد ذكر لنا التاريخ الكثير من سير الخلفاء الراشدين وغيرهم، وكيف كانوا عامل بناء لأمة الإسلام، ومنهم عمر بن عبد العزيز، فقد ساد في عهده الأمن والأمان، ولم يكن هناك فقير، وقد فاضت الزكاة في عهده حتى أنه لم يجد من يأخذها، وهكذا عندما يكون الفرد قائماً بشرع الله تعالى وأوامره وحدوده، متصفاً بالعدل والتقوى يكون أثر ذلك عائداً على رعيته.

فمن سار على هذا النهج، وعمل ما يستطيع في سبيل ذلك حاز على رضا الله تعالى، وكان خير من قام بالمواطنة الحقة التي تعود على وطنه وأمته بخير عميم، كذلك أي مسؤول، وغيرهم ممن يتحملون مسؤوليات عظيمة فهؤلاء إذا صلحوا وراعوا الله في أمورهم وشؤونهم، وقاموا بمسؤولياتهم على الوجه المطلوب كانوا عوناً للحاكم على تسيير أمور الوطن على الوجه الذي يعود عليها بالتقدم والازدهار.

وإذا قامت الدول العربية والإسلامية بتطبيق هذه المنهجية الإيجابية كانت الثمار عائدة على كل من شارك فيها، فلا وطنية صالحة دون تمسك بالفضائل والأخلاق الإسلامية، والالتزام بشرع الله المطهر، ولا فلاح ولا نجاح إلا بلزوم المنهج الحق، والسير على طريقته، والعمل على تطويره بما يحقق الخير لسائر أمتنا العربية أو الإسلامية .

المبحث الرابع: شبهات حول مفهوم المواطنة والرد عليها

-من الشبه المثارة: أن مفهوم الوطنية في الإسلام يتعارض مع الانتماء إلى أمة الإسلام

والحقيقة أن مفهوم الوطنية في الإسلام لا يتعارض مع الانتماء إلى أمة الإسلام، وأن هذا من المغالطات التي يلقيها بعض الناس سواء من المسلمين أو غيرهم ، وتصوير هذا التعارض هو من الحيل للنيل من حقيقة الإسلام ومكانته في قلوب المسلمين، وهو استغلال للمحبة الغريزية للوطن لإيهام الناس بأن التمسك بتفاصيل الشريعة يعطل بعض مصالح الوطن، وذلك عبر مصادمة بعض أحكام لمطالب الوطنية.

إن الوطنية التي يدعو إليها علماء المسلمين ومفكروهم وغيرهم من سائر طبقات الأمة هي الوطنية المرتبطة بالدين، المتعلقة بالعقيدة، المستقاة من شريعة رب العالمين، والتي تهدف إلى تقوية أواصر مواطني البلد الواحد والأمة الواحدة، ليعمل الجميع في مصلحة وطنهم وأمتهم.

وهذه الوطنية لا تتعارض بمفهومها مع الانتماء لأمة الإسلام، إنما هي فرع من الأمة لأنها تنمي حب الأوطان، وألفتها، والحنين إليها، والانعطاف نحوها، والعمل الجاد الذي يعود بالنفع لها، وهذا بدوره يعود على الأمة جمعاء بالتعاضد والتكاتف والتماسك والنصرة.

إن الوطنية التي تتعارض مع الانتماء لأمة الإسلام هي تلك الوطنية التي تسعى إلى تقسيمها وإضعافها، وبث الخلافات بينها، وإيقاد نار العصبيات والفرق والمذاهب والحزبيات والولاءات، وهذه الوطنية لا يمكن أن يعترف بها أحد أبداً، بل هي بغيضة لدى كل مسلم غيور على دينه، فضلاً عن غيرهم من غير المسلمين.

(1) - أخرجه مسلم برقم (1828)0

إن الوطنية التي نرجوها هي وطنية مرتبطة أولاً وآخراً بديننا الحنيف، وهي التي تقوم على ما أمر الله به تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وهذه الوطنية هي التي تستوعب جميع المواطنين في ديار الإسلام، دون إهدار حقوق الأقليات غير المسلمة، أو المسلمة، من غير إثارة للنعرات القومية المتنوعة.

فلابد لنا من العناية بفكرة المواطنة بالمفهوم الإسلامي الشرعي لتجاوز المشكلات، والقضاء على التعددات الدينية، والتحزبات العرقية المتنوعة.

-ومن الشبه المثارة: أن الوطنية التي ينادى بها وطنية مزيفة غير حقيقية، وأن تطبيقها في واقع المسلمين يؤدي بالأمة إلى السير وراء الأمم الأخرى في عقائدها وأعرافها

إن عدم فهم الوطنية بمحتواها الظاهر يلقي بظلال الخوف على المواطن في التمسك بها ولزوم توجيهاتها، والناظر إلى حال المجتمعات المعاصرة يجد أن العالم الآن أصبح كأسرة واحدة تتقاسم أمور الحياة، سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو غيرها، فالكل يشارك في المسيرة.

وجميع وسائل الإعلام الآن سواء كانت مرئية، أو مسموعة، أو مقروءة كلها تصب في الغالب في مصلحة الوطن والمواطن، وتعمل على رفع مستواه العلمي والعملي، وهذا واضح وبين من خلال تلك المؤتمرات، والندوات، واللقاءات، والحوارات التي تقام من أجل الوصول إلى الخطط المناسبة التي تقوي دعائم الفرد بالدولة.

ولكن هناك فئام من الناس من جهلهم بمفهوم تلك الوطنية، واختلاطها بمفهوم الغرب فقط دون النظر إلى صورتها الحقيقية في الإسلام يلقي بالشبهة في القلوب أن هذه الوطنية التي ينادى بها وطنية مزيفة غير حقيقية، وأن تطبيقها في واقع المسلمين يودي بالأمة إلى السير وراء الأمم الأخرى في عقائدها، وأعرافها، وحياتها المادية التي تعيشها. وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا فرط المسلمون في تطبيق الشريعة الإسلامية في سائر بلاد المسلمين، فلا يكون لتلك المواطنة أثر، ولا يظهر لها ثمار ما دامت تسير على منهاج الغرب.

أما إذا سارت على المنهاج الحق، والتزمت بالأحكام الشرعية، وقامت بتطبيق ذلك في حياتها العملية فسيعود ذلك على الأمة ومواطنيها بالخير والفلاح كما هو المعمول به في هذه الدولة المباركة.

- ومن الشبه المثارة: أن محبة الوطن ليست من الإسلام في شيء، وأن ذلك مخالف لولاء العقيدة، والأخوة الإيمانية، وهذا يحتاج إلى إيضاح وبيان.

فالمحبة للوطن ليست مخالفة لولاء المسلم لعقيدته، ولا لإخوته الإيمانية، بل هي محبة فطرية سوية، تتماشى مع سائر المحاب، وخاصة عندما تكون هذه المحبة متعلقة بوطن قام على الإسلام شريعة وتطبيقاً، وهي من أعظم المحاب التي تجب على كل مسلم يعيش على ثراها، فمحبة هذا الوطن متعلقة بما هو عليه من إحقاق للحق، وإبطال للباطل، وإظهار لشرائع الإسلام الظاهرة. وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحب مكة حباً عظيماً ويميل إلى السكنى والإقامة فيها، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عندما أُخرج منها: "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَولا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ" [1]، وهذا فيه دلالة عظيمة أن محبة الأوطان راسخة في كل نفس بشرية، وهذا لا ينافي كمال الإيمان، وسلامة العقيدة.

وجميع الناس شرقاً وغرباً يميل كل شخص منهم إلى وطنه، ومبدأ نشأته وترعرعه، ويشتاق إلى أهله وإخوانه، ولا ينسى المكان الذي يسكن فيه ويتمتع بخيراته، وهذا يعيشه سائر الناس.

أما المسلم فيختلف عنهم بحبه لها لكونه يرتبط بها برباط العقيدة، والدين، فيرتبط بها ارتباطاً دينياً قبل أن يكون ارتباطاً دنيوياً. ولذلك نجده ينخرط فيما يسمى بـ(الخدمة الوطنية): وهي في غالبها تطلق على الخدمة العسكرية كما في سائر بلدان العالم، وهي التي يلقي بها المشككون في صحة الالتحاق بها، وهي خدمة تصب في مصلحة الوطن.

(1) - رواه الترمذي برقم(3925)، قال الألباني: صحيح0

كذلك النشيد الوطني عبارات يقولها المواطن في حق وطنه، والتي فيها حث على الرفع من مكانتها، وكلماته قليلة إلا أن محتواه غال ونفيس لما يقال فيه.

كذلك العَلَم: وهو عبارة عن رقعة من القماش تحمل رموز الوطن، وشرفها وأمجادها، وهي ترمز لمعنى خاص، ويحملها الجند في طليعة الجيش، وترتفع على المباني الرسمية والحكومية باستمرار، ويحملها الأفراد في سائر المناسبات العامة والأعياد، والمهرجانات، والاحتفالات(الناصر، 1424هـ:219).

ومن يقدح في موضوع العَلَم له وجهة نظر ربما تكون صحيحة لما أحاط بهذا الموضوع من بعض المستجدات، ولكن في الأصل أن العلم سابقة قديمة، وقد استعملته سائر الأمم السابقة . واستعملته العرب في جاهليتها بأشكال وأنواع شتى، فكان لكل قبيلة شكل ولون مختلف عن الأخرى . وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم راية عند دخوله لفتح مكة، وكانت تحمل اللونين الأسود والأبيض، وورد أيضاً أنه اتخذ رايتين في غزوة بدر، إحداهما سوداء يحملها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتسمى العقاب وهي راية الرسول صلى الله عليه وسلم، والراية الثانية بيضاء في متناول الأنصار. وكانت للخلفاء الراشدين على مثل رايات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من التقاليد المتبعة أن يؤتى بلواء يعقده الخليفة بيده ثم يتسلم خاتم الخلافة، وقد حمل قادة الرسول صلى الله عليه وسلم الأعلام التالية في عهده، ومن بعده : فقد حمل كل من: خالد بن الوليد رضي الله عنه الراية الخضراء، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الراية الحمراء، والمثنى بن حارثة رضي الله عنه الراية السوداء، وأسامة بن زيد رضي الله عنه الراية البيضاء.

وفي ذلك دليل على أن اتخاذ العَلَم شعاراً للوطن ليس فيه قدح، أو هي بدعة، إنما أُتخذ اقتداءً بنبي الأمة صلى الله عليه وسلم.

ولو نظرنا إلى الأنظمة الموضوعة لحفظ نظام الوطن: وهي عبارة عن قوانين وأنظمة وضعها ولي الأمر من أجل ضبط أمن المجتمع، وحمايته من الفساد والظلم والاعتداء على حقوق الآخرين، وهي التي يلقي البعض حولها الشبه ويقول أنها مخالفة لشريعة الإسلام. وهذا الكلام غير صحيح، والدليل على ذلك ما وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في صحيفة المدينة من ضوابط وشروط بين المسلمين وغيرهم من ساكني المدينة من أجل حفظ أمن المدينة من الاعتداء عليها، وضبط الأمور في المدينة لئلا يعتدي أحد على أحد، أو يظلم أحد أحداً، أو يأكل أحد مال أحد .وأيضاً ما حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حينما مرَّ بقوم يلقحون فقال: " لو لم تفعلوا لصلح، قال فخرج شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال أنتم أعلم بأمر دنياكم" [1] .

المبحث الخامس: أثر المواطنة في تحقيق السلم الداخلي والخارجي

لا شك أن المواطنة الحقة لها آثار كثيرة على تحقيق السلم الداخلي والخارجي، ومن ذلك: التعـايش السلمي:

والتعايش لغةً: مصدر تعايش، تعايشًا، فهو مُتعايش، ويأتي التعايش في اللغة بمعنى: العيش على الأُلفة والمَوَدَّةِ، وتعايش النَّاسُ: إذا وُجِدوا في المكان والزَّمان نفسيهما، والتعايش أيضًا: مُجْتَمَعٌ تتعدد طوائفه، ويَعِيشُون فيما بينهم بانسجامٍ وثقةٍ وَوِئَامٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنِ أنهم مختلفون من حيث المذاهب أو الأديان أو الفئات.

وقصره البعض على: احترام حق الغير في ممارسة عباداتهم داخل أماكن العبادة من دون تدخل من الآخرين ومن دون عدوانية، وعليهم أيضًا احترام حق الغير في معتقداته ومقدساته ورموزه.

والتَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ يعني : وجود بيئةٍ يسودها التَّفَاهُم بَيْنَ فئات المجتمع الواحد بَعِيدًا عَنِ الحروبِ أو العنف .**وهناك ضوابط في أساسيات وصور التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم:**

(1) - رواه مسلم برقم (2363)0

1- الناس جميعًا إخوة في الإنسانية، هكذا أتى الإسلام ليقرر هذه الحقيقة، فالمعاملة بالحسنى وتبادل المصالح بين الشعوب لامانع منها، وإنما الممنوع هو الولاء و البراء، لأن ذلك يلزم منه المحبة.

2- إباحة أكل الطعام بين المسلم وأهل الكتاب تتضمن إباحة المجالسة والمزاورة والتعامل وتبادل المصالح، سواء كانوا هم قلة يعيشون بين أظهرنا أو كان المسلمون قلة يعيشون بين أظهرهم أو ما يعرف بالجاليات الإسلامية.

3- إباحة زواج المسلم من المحصنات والعفيفات من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة:5) فهذه آية صريحة في قوة صلة المسلم بأهل الكتاب، لأن فيها حل زواج المسلم من المرأة المحصنة العفيفة الكتابية، وفي هذا فتح لباب التراحم والمودة وتداخل الأنساب والأرحام والحب بين المسلم وأهل الكتاب.

4- استعمال آنيتهم وصنائعهم حيث يجوز للمسلم استعمال أواني غير المسلمين وصنائعهم مع التورع من النجاسات، فعن جابر رضي الله عنه قال: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم، فنستمتع بها فلا يعيب ذلك عليهم" [1] . وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إنا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا، وإن لم تجدوا غيرها فأرحضوها بالماء وكلوا واشربوا"[2].

قال الخطابي شارحًا: (الأصل في هذا إذا كان معلومًا من حال المشركين أنهم يطبخون في قدورهم لحم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمور، فإنه لا يجوز استعمالها إلا بعد الغسل والتنظيف، فأما مياههم وثيابهم فإنها على الطهارة كمياه المسلمين وثيابهم إلا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات)(الخطابي، 1351هـ:257) .

5-الوفاء بعهدهم وهو مبدأ إسلامي متين، ويكون ذلك حتى مع غير المسلمين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدًا ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء" [3]. ولما أسرت قريش حذيفة بن اليمان وأباه أطلقوهما وعاهدوهما أن لا يقاتلاهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا خارجين على بدر فقال رسول الله صلى عليه وسلم: "نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم" [4].

6- دخولهم المسجد، فقد كانت تأتي الوفود من المشركين من العرب والنصارى واليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخلون المسجد وينزلون فيه، كقصة وفد ثقيف، قال ابن القيم: "وفيها جواز إنزال المشرك في المسجد، ولا سيما إذا كان يرجى إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن ومشاهدة أهل الإسلام وعبادتهم"(ابن القيم، 1415هـ: 525) .

فهذه الأدلة وغيرها كـ(قبول شهادتهم ، والثقة بهم ومواراة موتاهم والقيام لجنائزهم وعيادة مريضهم وقبول هداياهم والصدقة عليهم) من أحكام البيوع والإيجارات والشركات دالة على جواز التعايش بين المسلم وغير المسلم، وتاريخ المسلمين حافل في السوابق التي تدل على التعايش سواء بين غير المسلمين في مجتمع المسلمين، أو مسلمين كجالية في مجتمع غير مسلم، من ذلك ما يأتي:

- التعايش في مكة حيث نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره بالدعوة إلى الإسلام وتبليغ القرآن ولم يأمره بالخروج من مكة، ولم يأذن له ولا للمسلمين بالخروج حتى تعرضوا للتعذيب والمنع والقتل، وحتى تعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لمحاولة القتل والسجن، ﴿وَإِذ يَمكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَروا لِيُثبِتوكَ أَو يَقتُلوكَ أَو يُخرِجوكَ وَيَمكُرونَ وَيَمكُرُ اللَّـهُ وَاللَّـهُ خَيرُ الماكِرينَ﴾ (الأنفال:30) ولقد بقي المسلمون بمكة ولم يقطعوا الصلة بأهلها أو يخرجوا منها حتى أجبروا

(1) - أخرجه أبو داود (3838) واللفظ له، وأحمد (15053)0 قال الألباني: صحيح0
(2) - رواه أبو داود برقم(3839)0 قال شعيب الأرناؤوط: صحيح0
(3) - أخرجه أبو داود برقم (2759) واللفظ له، والترمذي برقم (1580)، وأحمد برقم (17015)، قال الألباني: صحيح0
(4) - رواه مسلم برقم(1787)0

على الخروج، فكان أهل مكة قبل الهجرة هم الذين طردوا المسلمين وقاطعوهم، وحرموا التعامل معهم بيعا وشراء وزواجًا ومساعدة.

-التعايش في الحبشة، فبعد تعرض المسلمين للتعذيب في مكة والتجويع أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى أرض الحبشة؛ طلبًا للعدل والأمن؛ لأنه كان فيها ملك عادل لا يظلم أحدًا، فعاش المسلمون في الحبشة أعوامًا قبل الهجرة للمدينة.

-لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمدينة، وكان أكثر أهلها وثنيين، وكان فيها قبائل من يهود وهم أهل كتاب ودين، وقد نظم النبي مع اليهود وغير المسلمين عقدًا اجتماعيًّا يعد نموذجًا مثاليًّا للتعايش؛ وذلك لتنظيم الحقوق وواجب حماية المدينة وقواعد التعامل مع الأحداث، وبقي الأمر كذلك عدة سنوات.

-وخير مثال على تعايش غير المسلمين مع المسلمين: العهد الذي كتبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأهل نجران المسيحيين، حيث كتب لهم بأنه أجارهم بجوار الله وذمة محمد رسول صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأراضيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يخسرون

ولا يعسرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته؛ وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا فإنّ من أهم الضوابط التي يجب أن يحاط التعايش بها والتي تحدد إطاره بالنسبة للمسلم: أمن الفتنة في الدين والقدرة على إقامته، وعدم الإكراه على مخالفة شيء من الدين، عدم الطاعة في معصية الله، عدم محبة الكفر بالله. وإذا نظرنا للسنة لوجدنا أن هناك **نقاط فارقة في التعامل مع غير المسلمين:**

1- **النهي النبوي الكريم عن إيذاء أو ظلم غير مسلم من المعاهدين المستأمنين**: ورد في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"(1).

2- **دعاء الرسول لغير المسلمين وأمره أمته بالإحسان إليهم والرفق بهم:** عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَعَاطَسُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ لَهَا يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَكَانَ يَقُولُ : "يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ"(2). وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّ دَوْسًا قَدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ" (3) .

3- **عدل الرسول في التعامل مع غير المسلمين**: ورد في سنن أبي داوود، عن عبدِ العزيز بن رفيع عن أُناس من آلِ عبدِ الله بنِ صفوان: أن رسولَ الله -صلَّى الله عليه وسلم- قال: "يا صَفوانُ، هل عندَكِ من سلاحٍ؟ " قال: عَارِيَّةً أم غصبًا؟ قال: "لا، بَلْ عاريَّةٌ" فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين دِرعًا، وغزا رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم- حُنينًا، فلما هُزِمَ المشركون جُمِعَتْ دروعُ صفوانَ، ففَقَدَ منها أدراعًا، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - لصفوان : "إنَّا قَدْ فقَدْنا مِنْ أدراعِكَ أدراعًا، فهل نَغْرَمُ لكَ؟ " قال: لا يا رسولَ الله، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ"(4).

4- **إكرام الرسول لأهل الفضل من غير المسلمين وعيادته لمرضاهم:** ورد في صحيح البخاري عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: " لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ" (5) .

(1) - رواه البخاري برقم(6914)0
(2) - رواه البخاري برقم(6224)0
(3) - رواه البخاري برقم(2937)0
(4) - رواه أبو داود برقم(3562)0
(5) - رواه البخاري برقم(3139)0

ومن ذلك حُسْن تعامله عليه الصلاة والسلام مع غير المسلمين ومخاطبته لهم بكُناهم وبمنزلتهم بين أقوامهم: كما اشتهر ذلك في كل مخاطباته ورسائله إلى الملوك والزعماء والرؤساء، وعفوه عمّن أساء إليه منهم وصفحه عنهم، ووفائه بالعهد لهم وعدم غدرهم أو خيانتهم.

وبذلك يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم أقام أنبل المجتمعات، وأرسى فيها أرفع القيم الإيجابية، ومنها قيم المواطنة الصالحة، التي تجعل كل فرد عضواً صالحاً في مجتمعه، ولاءً وانتماءً وعملاً وسلوكاً.

ومن قيم المواطنة **احترام النظام والقانون**، وقد رسخ الإسلام هذا الجانب من خلال طاعة الحاكم، والعمل بما يصدره من أنظمة وقوانين، صيانة للمجتمع من الخلل والفوضى، وأعلى النبي عليه الصلاة والسلام روح القانون والعدالة في المجتمع، فلا ظلم ولا فوضى ولا محاباة.

ومن قيم المواطنة **المحافظة على الأنفس والأعراض والأموال** من الضروريات الخمس، وحرم الاعتداء عليها.

ومن قيم المواطنة **تحقيق المحبة والتآلف والتكاتف بين أفراد المجتمع**، وشرع الإسلام أموراً عدة من أجل ذلك، كإلقاء السلام ورده، والتزاور، والتهادي، واجتناب أسباب التفرق والاختلاف وما يثير البغضاء والتشاحن، ومدح الله تعالى الأنصار بهذه الخصلة، وهي المحبة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:9)، وجمع النبي عليه الصلاة والسلام المهاجرين والأنصار على رباط المحبة.

ومن مبادئ المواطنة **التكافل الاجتماعي**، بحيث يقوم المجتمع بدوره تجاه أي فرد هو عضو فيه، من جهة العناية به، ومد يد العون له مادياً ومعنوياً، وقد رسخ النبي عليه الصلاة والسلام قيم الإحسان والبر وتفريج الكرب والتعاطف، كما شرع الزكاة والصدقة والوقف وعمل الخير، وخص الفئات الضعيفة بمزيد عناية، كالفقراء والأيتام والأرامل وكبار السن، حتى غدا المجتمع النبوي متضامناً كالجسد الواحد.

ومن قيم المواطنة **الاهتمام بالأسرة**، كونها ركيزة المجتمع، وحاضنة الأفراد، فوطَّد الإسلام العلاقة بين الزوجين، وأقامها على أساس المودة والمحبة، وبيَّن حقوق الزوجين والأبناء، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك، بالعناية بأسرته، وخدمته لهم، فكانت أسرته أسرة نموذجية يقتدي بها الجميع.

ومن قيم المواطنة **بناء الفرد علمياً**، ويعتبر اليوم محو الأمية العلمية مفتاحاً للمواطنة الصالحة، ويعد التعليم الجيد إحدى أهم الوسائل التي تمكّن الفرد من مساعدة مجتمعه والإسهام في بناء اقتصاده، وقد أعلى الإسلام قيمة العلم، وأولاه النبي عليه الصلاة والسلام عناية كبيرة، حتى حقق التعليم في المجتمع النبوي انتشاراً مذهلاً، وأصبح العلم والمعرفة سمة بارزة من سماته.

ومن قيم المواطنة **التحلي بالوسطية والاعتدال**، ونبذ الغلو والتطرف، وتلك كانت سمة المجتمع النبوي، حتى ظهرت فئات خارجة عنه، لم ترتو من معينه الزلال، فغلت وتطرفت، وكفَّرت واعتدت، فواجهها الصحابة الكرام رضي الله عنهم مواجهة علمية توعوية لإرجاعها إلى جادة الصواب ومواجهة عسكرية حينما حملت هذه الفئات السلاح وأصرت على القتال وسفك الدماء.

ختاماً: ما أجملَ أن يكون الفرد نافعاً مثمراً محباً لمجتمعه، ناشراً الخير والفضيلة في محيطه، صانعاً بل باعثاً للأمل والتفاؤل في نفوس محبيه ومن حوله، حاملاً القيم الرصينة، والأخلاق العالية الرفيعة، يسهم في بناء وطنه وازدهاره والذود عن حماه سواءً بالكلمة الطيبة أو بالقلم الرصين أو بالنصيحة الصادقة أو بالفكرة الهادفة المبدعة أو بالعمل الدؤوب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات. ففي ختام هذا البحث هذه بعض النتائج والتوصيات،

فمن أهم النتائج:

1- أن المواطنة الصالحة علاقة تربط بين المسلم وسائر عناصر الأمة.
2- أن مفهوم المواطنة ينبع من وحدة الأصل الإنساني، والمصالح المشتركة لأبناء الوطن الواحد.
3- أن وطنية الإسلام لا تتعارض مع الانتماء إلى أمة الإسلام، لأنها جزء منها.
4- أن الشبهات التي يلقيها البعض إنما هي من العرف الذي لا يخالف الشرع، بل في غالب الأحيان أنه موافق للشرع.

ومن أهم التوصيات:

- لا بد أن يكون هناك محاضن شرعية وتربوية وفكرية تقوم على إيضاح الصورة الحقيقية للمواطنة للناس، لكي يلتزموا بها ويعملوا بمقتضاها.

- لا بد من العناية بالمسلك النبوي في بيانه للمواطنة الحقة، مع الإكثار من عقد ندوات وملتقيات علمية، ليستفيد منها العلماء، والمربون، ومدرسو كليات القرآن ومعاهده ومدارسه.

اسأل الله أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم العرض على الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم
2- ابن حجر، أحمد. (1419هـ). *التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير*. بيروت، دار الكتب العلمية0
3- ابن حجر، أحمد. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* . بيروت، دار المعرفة0
4- ابن حنبل، أحمد.(1420هـ). *مسند الإمام أحمد*. ط2، مؤسسة الرسالة.
5- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). *التحرير والتنوير*. تونس، الدار التونسية للنشر 0
6- ابن عباد، إسماعيل. (1414هـ). *المحيط في اللغة*. بيروت، دار عالم الكتب0
7- ابن كثير، إسماعيل. (1414هـ). *تفسير القرآن العظيم*. دار الفكر.
8- ابن قيم، محمد.(1415هـ). *زاد المعاد في هدي خير العباد* . ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة0
9- ابن ماجة، محمد. *سنن ابن ماجه*. بيروت ، دار الفكر.
10- ابن منظور، محمد. (1414هـ). *لسان العرب* 0 ط3، بيروت، دار صادر-
11- أبو داود، سليمان. *سنن أبو داود*. بيروت، المكتبة العصرية0
12- أبو نعيم، أحمد. (1394هـ). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* . نصر، السعادة0
13- البخاري، محمد. (1417هـ). *صحيح البخاري*. الرياض، دار السلام 0
14- البيهقي، أحمد. (1414هـ). *سنن البيهقي الكبرى*. مكة ، دار الباز0
15- الترمذي، محمد. *سنن الترمذي*. بيروت ، دار إحياء التراث العربي.
16- الخطابي، حمد.(1351هـ). *معالم السنة* . حلب، المطبعة العلمية 0
17- د. إبراهيم ناصر. (1424هـ). *المواطنة*. دار مكتبة الرائد.
18- د. عبد الكريم الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن* 0
19- د. فهمي الهويدي. المواطنة في الإسلام. مقال في جريدة *الشرق الأوسط*، العدد: 5902، ص13.
20- العناقرة وآخرون ، *التربية الوطنية*.
21- القشيري، مسلم. (1419هـ). *صحيح مسلم* ، دار المغني0
22- ورقة قُدمت في إطار اللقاء الحواري الأول في مركز حرمون للدراسات المعاصرة – حول قضايا "الدين والدولة والسياسة" – إسطنبول في يومي 8 و9 تشرين الأول/ أكتوبر 2016.